الفصل الثانى
ثنائية الشعر والواقع
(بين التصوير الفوتغرافي و إعادة تشكيل الواقع)

-1-

ورثت قصيدة الإحياء من ملامح الشعر القديم الالتحام بالواقع والتسجيل الفوتوغرافي لأحداثه ، فما من واقعة ، أو مناسبة جليلة ، أو هامشية ،إلا ووجدنا فيها شعرا ، فذاع شعر المناسبات والإخوانيات ، حتى الكتب والدواوين التى كانت تصدر من دار النشر كانوا يستقبلونها بالشعر ، ولهذا الملمح سلبياته في بنية النص الشعرى ، فأصبح التكلف في مثل هذه الأشعار واضحا ،وأصبح الشاعر أشبه بالصحفي الذى يهمه نشر الخبر بالصورة المستعجلة السريعة ، التى لاتحفل بتحقيق الجمال الفنى بقدر تغطية الخبر ، وذكر اسم الشاعر في إحدى صفحات الجريدة .

وقد كان للشعرالعربى - منذ نشأته - وظيفة دعائية ،حيث ارتبط الشعر بالحياة وقضاياه منذ العصر الجاهلى ، وظل طيلة عصور الأدب بعد ذلك مواكبا لأحداث الواقع ،لذا كان الشاعر يحظى بمكانة كبيرة في نفوسهم،وقد صور لنا النقاد مكانة الشاعر فقال ابن سينا ت 421هجريا "كان الشاعر في القديم ينزل منزلة النبى ،فيعتقد قوله،ويصدق حكمه،ويؤمن بكهانته"[1] وما نزل الشاعر هذه المكانة لولا تحمله لهذه المسئولية الدعائية ،ولعل أوضح مثال لذلك – في العصر الجاهلى - معلقة عمرو بن كلثوم (التى تبلغ ستة وتسعين بيتا في شرح التبريزى) التى تغنى

1 - حازم القرطاجنى (أبو الحسن حازم القرطاجنى):منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، ط . دار الغرب الإسلامى ،بيروت ط 3 عام 1986. ص124 .

obeikan.com

فيها الشاعر بمآثر قومه ،لذا اتخذتها قبيلة تغلب نشيدا قوميا لها،رددها الصغار والكبار معا،مما دفع بالشاعر الحارث بن حلزة – شاعر بنى بكر وكان بينهما عداء – **أن يهجوهم بقوله:**

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسئوم[1]

لقد كان الشعر " ديوان علمهم ،ومنتهى حكمهم،به يأخذون،وإليه يصيرون"[2] وكان "ديوان العرب،وخزانة حكمتها،ومستبط آدابها،ومستودع علومها"[3] و"جامع أشتات المحاسن التى سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ ، والغناء ،وسائر الأحوال"[4]ولذا كانوا يقيمون الأفراح عندما ينبغ فيهم شاعر،ويأتى الناس لتهنئتهم" لأنه حماية لأعراضهم،وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ،أو فرس تنتج"[5]

وقد ظلت الوظيفة الدعائية للشعر على مر عصور الأدب ،ففي العصر الإسلامى كان الشعر سلاحا من أسلحةالدفاع عن الدعوة،فعندما أخذ شعراء مكة يكيلون الهجاء للرسول (ﷺ) طاعنين في هذه العقيدة السمحاء، مشهرين برسولها المرسل من السماء،أمر الرسول (ﷺ) حسان بن ثابت - الذى انضم إليه كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة - بالرد علي شعراء مكة(أبو سفيان بن الحارث،وعبد الله بن الزبعرى،وضرار بن الخطاب،وأبو عزة الجمحى...إلخ)

---

1 - ابن قتيبة (أبو محمد بن عبد الله بن مسلم): الشعر والشعراء ط دار الثقافة بيروت د. ت ج1 ص159:160.

2 - محمد بن سلام الجمحى:طبقات فحول الشعراء ،تحقيق محمود محمد شاكر ط دار المدنى جدة ، مطبعة المدنى المؤسسة السعودية بمصر د . ت .ج1ص24.

3 - أبو هلال العسكرى(الحسن بن عبد الله بن سهل):كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)تحقيق على محمد البجاوىومحمد أبو الفضل إبراهيم ط المكتبة العصرية صيدا بيروت عام 1986 ص38.

4 - عبد الرحمن بن خلدون:مقدمة ابن خلدون ط دار الكتاب اللبنانى بيروت د.ت ص1070.

5 - ابن رشيق(أبو على الحسن بن رشيق): العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1 ص 65.

لم يترك الشعر واقعة من الوقائع الهامة في هذا العصر،وفي غيره من عصور الأدب (كالغزوات ، والوقائع المشهورة ، ورثاء الخلفاء والشهداء...) إلا وعبر عنها،وبلغ طرب الرسول (ﷺ)بقصيدة كعب بن زهير(بانت سعاد)عندما جاء معتذرا للرسول على هجائه له،ومعلنا إسلامه،فطرب لهذا الشعر (لتضمنه قيم إسلامية) وعبر عن هذا الطرب بإعطائه بردته (وعرفت بقصيدة البردة)

وفي العصر الأموى اتخذ الأمويون الشعر أداة إعلامية،فاتخذ عبد الملك بن مروان الأخطل شاعرا لبنى أمية ، رغم سفاهته ،وسخريته في أشعاره من شعائر الإسلام [1] لالشيء سوى أنه يرضيه بالإشادة بسياسته، ويهجو خصومه السياسيين،الذين اجتمعوا في أحزاب مناوئة عدة (الخوارج – الشيعة- الزبيريون) وكان لكل حزب شعراؤه المعبرون عن آرائه وسياسته، بما هو أشبه في عصرنا بمواقف الصحفيين ، وتأييدهم لسياسة ما ،أو ترشيح شخص ما لمنصب من المناصب ، أو لرئاسة حزب أو دولة .

واستمر هذا الوضع في العصر العباسى فـ " قامت قصيدة المديح ...مقام الصحافة الحديثة،فهى تسجل الأحداث التى عاصرها الشاعر والأعمال الكبرى التى ينهض بها الخلفاء"[2]

ولما كانت القصيدة العمودية تحتفي بتلاحم المبدع والمتلقى في مكان واحد، هو مكان الإنشاد ، لذا غلب علي الشعر الوضوح والتقريرية ،مراعاة لإنشاده وسط الجموع التى تستخدم الأذن في التلقى ،فتحتاج لمعنى واضح بعيد عن الرمز والغموض،والنبرة العالية التى تأخذ بأسماع المتلقين،وكان لشعرهم رد الفعل ،

1 - راجع :ابن رشيق :العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده ج1ص44.
2 - د.شوقى ضيف: العصر العباسى الأول ط دار المعارف د. ت ص161.

والاستجابة المؤثرة في النفوس،وهذا ما أدركه جبرا إبراهيم جبرا في قوله " لعل المنبرية هى الطرف الأقصى من الرغبة في التواصل،حيث يرفع الشاعر صوته ليبلغ به أكبر عدد من الناس،مؤملا أن يؤثر فيهم بإيقاع وتناغم كلماته،ولكن بمباشرة وسطحية في المعنى،لاتطالبان السامع بالتفكير"[1]

وهذا ما انسحب على شعر مدرسة الإحياء ،وأكده أحد الدارسين في قوله "كان الشعر يقوم بدور الإعلام النشط إبان الحركة الإحيائية ،وقد احتفلت به الصحافة لأنه كان يقدم لها ،وكان بمثابة الموسيقى التصورية لحركة الحياة السياسية والاجتماعية من الصفحة الأولى إلى الأخبار الدولية والفنية والحوادث حتى صفحة الوفيات في قصائد الرثاء،ومن هنا لم تبخل عليه الصحافة بوضعه في صدر صفحاتها الأولى ، وتداول أخباره لا باعتبارها أحداثا شعرية،بل سياسية واجتماعية واقتصادية ، ومكنت نماذجه الفائقة في ذاكرة القراء بما جعلها تستعصى بعد ذلك على الاستبدال،وقد امتلأت الأسماع بالخطابة الشعرية ..." [2]

1 - جبرا إبراهيم جبرا:الحداثة فى الشعر والجمهور ، مجلة فصول المجلد 15 العدد2 صيف 1996 ص234.

2 - د.صلاح فضل : تحولات الشعرية العربية ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – مهرجان القراءة للجميع عام 2002 ص11.

obeikan.com

-2-

لقد استقطب شعر المناسبات شعر مدرسة الإحياء ، اللهم إلا حيزا صغيرا من أشعار الوصف ، وبعض الأمور الذاتية ،وسنقف على هذه الظاهرة في شعر البارودى، وشوقى ،وحافظ ، وإسماعيل صبرى ، والجارم ، فمن نماذج شعر المناسبات في شعر البارودى ، **قوله في تهنئة الخديوى عباس حلمى الثانى بعيد جلوسه** :

لمثل ذا اليوم كان الملك ينتظر فاسعد بها دولة عنوانها الظفر
تهللت مصر بعد اليأس وابتهجت بك الرعية حتى عمها الحبر
نالت بنصرك ما كانت تؤمله لا زلت للملك والإسلام تنتصر...إلخ [1]

ومما يدلل على التكلف وافتقاد الصدق الفنى أننا لم نعرف نصرا في عهد عباس الثانى سوى خلعه ، وعدم السماح له بالرجوع إلى مصر من زيارة له إلى الآستانة ،ومن قصائد المناسبات – أيضا - مدحه (البارودى) صاحبه الأديب عبد الله باشا فكرى بعد مقدمة غزلية ، ووصف الطبيعة ،ووصف الخمر في تسعة وعشرين بيتا في مدح فاتر، **يفتقد الحرارة التى تبعث الروعة والجمال في قوله** :

وبقيا على قلبى فلو لم يكن به
سوى حب عبد الله كان له عذر ...إلخ [2]

ومن هذه القصائد – أيضا - مدحه لوالى مصر يوم قطع سد النيل ، **يبدأها بتكلف واضح في قوله** :

أيا ملكا همت كفاه جودا على الثقلين : من باد وقارى[3]

---

1 - راجع القصيدة ديوان البارودى ج2 ص45:52.
2 - راجع القصيدة : م. نفسه ج2 ص61:69.
3 - راجع القصيدة : م. نفسه ج2 ص 113 وما بعدها.

ومنه قوله في مديح الخديو إسماعيل باشا :

رجـــــع الخـــــديو لمصـــــــره وأتـــــت طـــــلائع نصـــــره [1]

ومنها – أيضا – مدحه لمحمد توفيق باشا حين عين ناظر النظار مطلعها بالهنء وضعيف :

بـك اسـتقامت مصـر حتـى غـدت يحمـــدها الـــوارد والصـــادر [2]

ومن هذه القصائد مدحه لشكيب أرسلان التي يبدأها بالغزل :

ردى التحيـــة يـــا مهـــاة الأجـــرع وصـلى بحبلـك حبـل مـن لم يقطـع

وبعد واحد وثلاثين بيتا ، يقول مادحا :

أبصـــرت منـــه أخـــا إيـــاد خاطبـــا وسمعـت عـنترة الفـوارس يـدعى [3]

حيث شبه الممدوح بقس بن ساعدة من بني إياد في نثره ، وبعنترة العبسي في شعره ، وأين الممدوح من هذين؟!

1 - راجع القصيدة : م. نفسه ج2 ص 123 وما بعدها.
2 - راجع القصيدة : م. نفسه ج2 نفس الصفحة وما بعدها.
3 - - راجع القصيدة : م. نفسه ج2 ص 251 وما بعدها.

oberkan.com

-3-

لا نبالغ إذا قلنا إن شعر شوقى صدى لكل أحداث الواقع فترة حياته ،فما من حدث مرّ به إلا وقال فيه شعرا ،وينسحب على شعره من العيوب الفنية ما وصفنا به شعر المناسبات ، فمثلا له قصيدة بمناسبة وصول أول طائرة من فرنسا إلى مصر عام 1914 يقودها الطياران (بونيه وفورين) **يمدح فيها فرنسا أكثر من مصر يفتتحها بقوله** :

يا فرنسا نلت أسباب السماء وتملّكت مقاليد الجواء [1]

وواضح من المفتتح تحول الشعر إلى نظم نثرى يفتقد الجمال والنبض ، والروعة والجمال ، وفي الرثاء لم يترك شخصية توفاها الله في عصره إلا رثاها هذا الرثاء الذى لا نجد فيه حرارة العاطفة ، الذى يبعث الدفء والجمال الفنى ، لأن الشعر إذا افتقد العاطفة والمعايشة الفنية افتقد روحه ونبضه الجميل ، وأصبح نظما ، ليس فيه من الشعر سوى الوزن والقافية ،فمن الشخصيات التى رثاها عبد الحليم العلايلى سكرتير حزب الأحرار الدستوريين ،**في قصيدة يبدو عليها التكلف من بدائها** :

لقد لبّى زعيمكم النداء عزاء أهل دمياط ، عزاء [2]

ويفتتح قصيدته في رثاء الوزير مصطفي باشا فهمى بشعر بين التكلف والنثرية ، **يبدأها بقوله** :

---

1 - راجع القصيدة الشوقيات ج1 ص9وما بعدها.

2 - راجع القصيدة : م . نفسه ج1 ص46،وراجع : قصيدتيه في رثاء سيد درويش ج 1ص 13 وما بعدها ، وقصيدته في رثاء أبى الهيف ج1ص40 وما بعدها .

يأيهـــا النـــاعى أبـــا الـــوزراء هـــذا أوان جلائـــل الأنبـــاء [1]

هذا الرثاء الباهت الذى لم يسلم شعره منه حتى مع أقرب الناس إليه ، لأنه اعتاد على إخراج قصيدة تكتب في الصحيفة اليومية عن هذا الحدث ، دون أن تختمر التجربة في نفسه ، ويتفنن في صياغتها فنيا ، فله قصيدة في رثاء جدته (نمراز) التى كان لها دور كبير في تربيته ، والنعمة التى عاش في ظلالها ، لأنها كانت تعمل في قصر الخديوى إسماعيل وهو صغير ، **يقول في افتتاحها** :

خلقنـــا للحيـــاة وللـــــمات ومـــن هـــذين كـــل الحادثـــات [2]

فأراد أن يبدأ بحكمة ، ولكن خانته موهبته الفنية ، لعدم معايشته الموقف من الداخل ،والتحدث عن موتها وكأنه صحفي يعرض حدثا في جريدة ، لا التعبير عن حدث من خلال وجدانه ،وله قصيدة لا تقل تكلفا عن القصيدة السابقة في رثاء أبيه ومولد ابنته (أمينة) **في ليلة واحدة يختتمها بقوله** :

فقلـــت أحكامـــك حزنـــا لهـــا يـــا مخـــرج الحـــى مـــن الميـــت [3]

فهذا كلام يقوله عامة الناس والمجردون من الثقافة والفكر ،هذا عن أقرب الناس إليه ، حتى الزعماء الوطنيين لا نجد في رثائهم – باستثناء عمر المختار – لا نجد في رثائهم شعرا جيدا ، يثير الشجون ، ويدغدغ المشاعر، ويمتع المتلقى ،فله قصيدة في رثاء محمد فريد بيّنة التكلف ، **يقول** :

---

1 - راجع القصيدة : م . نفسه ج1 ص51. ومن هذه القصائد الباهتة التى تفتقد الصدق رثاؤه لحافظ إبراهيم (الشوقيات ج1 ص54 وما بعدها)و رثاؤه لمحمد عبد المطلب (م.نفسه ج1 ص وما بعدها 65)و رثاؤه ليعقوب صروف (الشوقيات ج1ص109 وما بعدها) و رثاؤه لمحمود تيمور (ج م.نفسه 1 ص112وما بعدها) و رثاؤه لحسين شيرين بك (م.نفسه ج1ص 121) ورثاؤه لعثمان باشا غالب (ج م.نفسه 1 ص128 وما بعدها) و رثاؤه لرياض باشا (م.نفسه ج1 ص وما بعدها 130)

2 - راجع القصيدة : م . نفسه ج1 ص 145 وما بعدها .

3 - راجع القصيدة : م . نفسه ج1 ص 148 وما بعدها .

كـــلّ حـــى علـــى المنيّـــة غـــــادى

تتـــوالى الرّكـــاب والمـــوت حـــادى [1]

تـذكرنا في وزنهـا (البحرالمديـد وتفعيلاتـه فـاعلاتن فـاعلن فـاعلاتن مكـرر) ورويها (الدال) **بقصيدة أبي العلاء المعري** :

غـــير مجـــد في ملتـــى واعتقـــادى نـــوح بـــاك ولا تـــــرنم شـــــاد

ولكـن شـتان بـين القصـيدتين ،لشـاعرعايش الموقـف في تجربتـه الفنيـة ،وآخـر ينظم والسلام ، وله قصيدة بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة لوفاة محمد فريد بك ، لا تقل تكلفا ونثرية عن القصيدة السابقة [2] ،وله قصيدة في رثاء مصطفي بك الخلوصى الضابط الذى شارك في قمع ثورة سكان جزيرة كريت ضد الأتراك ، **يفتتحها متكلفا بقوله** :

كـــأس مـــن الـــدنيا تـــدار مـــن ذاقهـــا خلـــع العـــذار [3]

حتـى الأدبـاء الـذين رثـائهم ينسـحب علـى شـعرهم مـا ذكرنـاه ، فـلا نجـد في رثائهم الحرارة والانفعال والصدق الفنى ، فتحول الشعر إلى نظم ، لعدم معايشة الواقعـة ،وإسـراع الشـاعر في تغطيـة الخبر في الصـحف اليوميـة ، المهـم ذكـر اسمـه ، لا تـأبين الفقيـد ، وتمجيـد ذكـراه ، في نسـق شـعرى يصـنع نصـا ثريـا يتـألق بالجمـال الفنـى ، مـن هـذه القصـائد قصـيدته في رثـاء عبـد العزيزجـاويش ، **و قصيدته في رثاء تولستوى يبدأها بقوله** :

تولســـتوى تجـــرى آيـــة العلـــم دمعهـــا

عليـــك ويبكـــى بـــائس وفقـــير [4]

---

1 - راجع القصيدة : م . نفسه ج1 ص201 وما بعدها .
2 - راجع القصيدة :م . نفسه ج1 ص220 وما بعدها .
3 - راجع القصيدة :م . نفسه ج1 ص 239 وما بعدها .
4 - راجع القصيدة : م . نفسه ج1 ص298 وما بعدها .وراجع قصيدته في رثاء عبد العزيز جاويش ج1 ص 167 وما بعدها.

لقد جاء انتهاج شعراء الإحياء لنهج الشعراء القدماء في تسجيل أحداث الواقع سواء جليلها أو محدود القيمة منها ، له المردود السلبى في عدم تنقيح شعرهم ومعايشته فكان همهم تسجيل الأحداث ، لا للولوج إلى أعماق الحدث وفلسفته فنيا ،أو إثارة ما يكتنفه من قيم خالدة ومبادىء سامية ، وغلب مبدأ الكم (الكثرة أعنى طول القصائد)على مبدأ الكيف (أعنى القيمة الفنية)، فهذا شوقى يرثى كل شخص مات ، ونقرأ كثيرا من قصائده في هذا المنحى ، فلا نجد فيها الجمال والروعة ،ولنا أن نقف على رثائه لشخصيات كثيرة غير الشخصيات الى ذكرناها من قبل ، كرثائه لعبد الحى المغنى المصرى ، ومحمد ثابت باشا ، وثروت باشا ، ولابن محمد حسين هيكل ،وعمر لطفي العالم المصرى ،ولقاسم أمين ،ولعبده الحامولى المطرب [1] والقصيدة بهذا النهج تفضى بمدلولها مباشرة ،لا نجد إيحاء ، أو ظلالا للمعانى ،والنص واضح الدلالة ،نص به من الساذجة والابتذال لتكلف صاحبه في كثير من الأحيان، فمن محاسن الفن أنه لا يفضى إليك بكل ما في جعبته ،وأنك كلما تأملت فيه وجدت الجديد والجديد ، **مصداقا لقول الشاعر العربى القديم** :

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا

يقول آلان " في كل الفنون لغة مطلقة خفية ، في الشعر مثلا معان يضيق النثر عن شرحها ، وشيء من التعبير المبهم الذى لا يفهمه الإنسان بحسه لا بعقله ، كذلك الموسيقى يحسها الإنسان دون أن يستطيع شرحها ، ويستمتع بها ، ويترنح على وقعها وهو لا يفهم تماما ماذا تعنى"[2] وهذا ما نفتقده في قصيدة المناسبات.

1 - راجع هذه القصائد في الشوقيات ج1 ص162وما بعدها، ص201 وما بعدها، وص217 وما بعدها، وص241 وما بعدها ، وص 286 وما بعدها ، وص 289 وما بعدها .
2 - روز غريب : النقد الجمالى وأثره في النقد العربى ط دار الفكر بيروت عام 1993 ص96.

ولم يقتصر شعر المناسبات عند شعراء مدرسة الإحياء – ومنهم شوقى – على الرثاء بل شاركوا في كل مجالات الحياة ، فما من حدث سواء أكان محليا أو عالميا أو احتفالية ما ، إلا ونجدهم يشاركون فيه بأشعارهم ، أو قل ينظمون عنه شعرا ، فشوقى يشارك ممثلا مصر في المؤتمرالشرقى الدولى بمدينة جنيف عام 1894م ، بقصيدة تربو على الثلاثمائة بيت ،يتحدث فيها عن كبار الحوادث بوادى النيل ، يتناول فيها لمجد مصر ، ويركز على محمد على وأسرته حتى فترة هذه القصيدة ، **ويختتمها بمدح عباس حلمى فائلا** :

كيف تشقى بحب حلمى بلاد نحن أسيافها وحلمى مضاء [1]

وما أشبه فعل شوقى – وشعراء مدرسة الإحياء – كما ذكرنا، بفعل الصحفيين في عصرنا ، عندما يشاركون في أى حدث من أجل كتابة أسمائهم في الجرائد ،لقد ذاعت قصيدة المديح في أشعارهم ، وضاق منه متلقو الشعر ،كما ضاق به شعرنا العربى القديم ، فما من مناسبة للخديوى إلا ونجد فيها مدحة له – ومن كل الشعراء الذائعين في هذا العصر – وقد فخرشوقى بذلك ، **فقال** :

شاعر الأمير وما بالقليل ذا اللقب

وتطرق في مدحه للأسرة الحاكمة سواء الذين عاش معهم ،أو الذين لم يرهم من قبل [2]وينطبق علي هذه القصائد ما انطبق على هذا الشعر الذى يفتقد الجمال الفنى.

---

1 - راجع القصيدة :الشوقيات ج1 من ص16:29.

2 - له قصيدة في مدح محمد على باشا جد الأسرة الخديوية ، رغم موت محمد على قبل مولده (توفى محمد على عام 1845 وولد شوقى عام 1870) راجع القصيدة : (م.نفسه ج1 ص173 وما بعدها) وله قصيدة بمناسبة نجاة الخليفة من الاعتداء الذى استهدفه سنة 1905 (م.نفسه ج1 ص 135وما بعدها) وله قصيدة بمناسبة إبطال مصطفى باشا كمال خلافة الإسلام إثر انتصاره سنة 1923 (م.نفسه ج1 ص170 وما بعدها) وله قصيدة بمناسبة حج الخديوى(م.نفسه ج1 ص139 وما بعدها) وله قصيدة في مدح الخديوى إسماعيل (م.نفسه ج1 ص223وما بعدها)وله قصيدة بمناسبة الاحتفال بإطلاق سراح عدد من فتية مصر من السجن عندما كان سعد زغلول وزيرا (م.نفسه ج1 ص228 وما بعدها) وله قصيدة بمناسبة الاحتفال بوضع حجر الأساس في بناء بنك مصر عام 1925 ، وله قصيدة بمناسبة الانقلاب على حكم السلطان عبد الحميد (م.نفسه ج1 ص279 وما بعدها)وله قصيدة مديح في مصطفى باشا كمال(م.نفسه ج1ص115 وما بعدها)

وفي المناسبات العالمية نجد مشاركتهم بالشعر، من أجل كتابة أسمائهم في الجرائد وكانهم شهود على العصر، ففي شعر شوقى نجد قصيدة له بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور مائة عام على وفاة الأديب الفرنسى فكتورهوجو، وله قصيدة في إحياء ذكرى شكسبير الشاعر الإنجليزى ،مدح في شعره (شكسبير) في صورة متكلفة ممقوتة ، يفتتحها بقوله :

أعلى الممالك ما كرسيّه الماء وما دعامته بالحق شمّاء [1]

وهذا نموذج يعكس لنا ضحالة شعر المناسبات وتكلف الشعراء فيه ، وله قصيدة في ذكرى كارنافون (الشوقيات ج1ص123 وما بعدها) وله قصيدة بمناسبة تتويج الملك إدوارد السابع ،وقد تم تأجيل الحفل لإصابة الملك بدمل (الشوقيات ج1ص وما بعدها 126)

ناهيك عن المناسبات القومية التى يضج منها الديوان ، فقد سجل كل حدث مرت به البلاد [2]، حتى ظهور الكتب فقد شارك شعراء مدرسة الإحياء في التقديم

---

1 - راجع القصيدة:م.نفسه ج1 ص37 وما بعدها.ومعروف عن شكسبير أنه كان شاعرا مسرحيا، لا كما فهم شوقى (أنه شاعرفقط) فمدح شعره ،وقصيدة فكتور هوجو(م.نفسه ج1 ص296 وما بعدها)

2- له قصيدة بمناسبة اكتشاف توت عنج آمون (م.نفسه ج1 ص237وما بعدها)وله قصيدة في افتتاح نادى الموسيقى الشرقى عام 1929م(م.نفسه ج1 ص48)وله قصيدة في تهنئة على باشا إبراهيم بمناسبة الإنعام عليه برتبة الباشوية عام 1930(ج1 ص71 وما بعدها) وله في مشروع 28 فبراير (م.نفسه ج1 ص98 وما بعدها) وله قصيدة بمناسبة يوم المرأة (م.نفسه ج م.نفسه 1 ص وما بعدها 142) وله قصيدة بمناسبة هبوط صدقى الطيار المصرى في مطار القاهرة قادما بطائرته من برلين عام 1930،ويبدو التكلف من بدايتها في تشبيه الطيارة بالعقاب تارة،وبالسحابة تارة أخرى في قوله :

أعقاب في عنان الجو لاح أم سحاب فرّ من هوج الرياح

(راجع القصيدة في الشوقيات ج 1ص 59 وما بعدها)وله قصيدة بمناسبة انعقاد المؤتمر السياسى الذى انعقد سنة 1926 برئاسة سعد زغلول (الشوقيات ج1 ص167 وما بعدها) وله قصيدة عن مشروع القرش (م.نفسه ج1 ص179وما بعدها)وله قصيدة بمناسبة تكريم الأديب اللبنانى أمين الريحانى على سفح الأهرامات(م.نفسه ج1 ص195وما بعدها) وله قصيدة بمناسبة تعيين إسماعيل صبرى وكيلا لنظارة الحقانية (م.نفسه ج1 ص198وما بعدها) وله قصيدة يحيى فيها غاندى بمناسبة مروره بمصر عام 1931 ، وهو في طريقه إلى لندن (م.نفسه ج1 ص204وما بعدها)وله قصيدة بمناسبة افتتاح الدار الجديدة لبنك مصر بالإسكندرية عام 1929(م.نفسه ج1 ص208وما بعدها)وله قصيدة بمناسبة تخليد ذكرى الزعيم مصطفى كامل عام 1921 ،يبدأها في تكلف والنثرية :

لم يمت من له أثر وحياة من السير

(راجع القصيدة : الشوقيات ج1 ص243وما بعدها)وله قصيدة بمناسبة إزاحة الستارة عن تمثال أبى الهول (م.نفسه ج1 ص249وما بعدها)وله قصيدة بمناسبة لقاء اللورد كتشنر مصرعه (م.نفسه ج1 ص254وما بعدها)وله قصيدة بمناسبة الاحتفال بتكريم مؤسسة الهلال الأحمر (م.نفسه ج1 ص272وما بعدها) وله قصيدة بمناسبة إقلاع حسين بك بطائرته لأول مرة ، وله قصيدة في حريق ميت غمر (م.نفسه ج1 ص315وما بعدها) وله قصيدة بمناسبة الاحتفال بافتتاح الجامعة المصرية (م.نفسه ج1 ص342ومابعدها)

لها والثناء عليها ، فبمناسبة ظهور ديوان ابن زيدون لشوقي قصيدة يفتخرها في غاية التكلف بقوله :

يـــا ابـــن زيـــدون مرحبـــا قـــد أطلـــت التغيبـــا [1]

قصائد المناسبات كالخبر الصحفي يتصف بالعجالة والسرد دون التأمل الفكرى والروحى الذى يعطى للعمل الفنى مذاقه وجماله الفنى ، فكثير من هذه القصائد تفتقد المعايشة الفنية والصدق الفنى الذى هو روح العمل الفنى .

وقد أوقع هذا الشعر (شعر المناسبات) صاحبه – شوقى هنا - في مزالق فنية كثيرة لأمرين : تواضع المستوى الفنى ،واصطدامه بذوق الجماهير في فترة كانت القصيدة العربية تدور في فلك المفهوم القديم للشعر من حيث التحامه بالجمهور ،قد تضافر هذان الملمحان معا ، فجاء شعره ساقطا - فنيا- وفي الوقت نفسه ورطه شعر المناسبات في اصطدامه بذوق الشعب وأيديولوجيته ، فقد كان شوقى فترة ما قبل نفيه معبرا عن رأى القصر ، لذا نراه يذم عرابى وثورته ،ويقلل من شأنه رغم ارتياح الجمهور لما قام به ، وجاء شعر شوقى امتدادا لرأيه ،وفي صورة فنية متواضعة ، كقوله :

أهـــلا وســـهلا بحاميهـــا وفاديـــها ومرحبـــا وســـلاما يـــا عرابيـــــها

وبالكرامة يا من راح يفضحها ومقدم الخير يا من جاء يخزيها ..إلخ

وقوله :

صـــغار في الـــذهاب وفي الإيـــاب أهـــذا كـــل شأنـــك يـــا عرابـــى

عفـــا عنـــك الأباعـــد والأدانـــى فمن يعفو عـن الـوطن المصاب ...إلخ

1 - راجع القصيدة : الشوقيات ج1 ص وما بعدها 90،وله في تقريظ في كتاب فتح مصر الحديث قصيدة (الشوقيات ج1 ص 92 وما بعدها)

وقوله :

عرابـــى كيـــف أوفيـــك الملامـــا جمعـــت علـــى ملامتـــك الأنامـــا

فقـــف بالتـــل واســـتمع العظامـــا فـإن لهـا – كمـا لهـو – كلامـا [1]

فهذا شعر بارد يفتقد الروعة والجمال ، ويصطدم بوجدان الجماهير التى لم تشك في إخلاص عرابى في وطنيته ، ولانجد في الأبيات جمال نظم ولاروعة معنى ، ولاجديد خيال يجذبك ، اللهم إلا كلام ككلام النادبات ، وسخرية مريرة في لغة ساقطة ، وهذا من سمات الشعر البارد الذى يفتقد الصدق الفنى ، وينطبق هذا الوصف على شعره في حادثة دنشواى بعدها بعام ، **حين قال** :

يـــا دنشـــواى علـــى ربـــاك ســـلام ذهبـــت بـــأنس ربوعـــك الأيـــام

وهذا الولاء السياسى للقصر دفعه إلى مدح الإنجليز والسلطان الذى سبق أن هجاه، **يقول** :

حلفاؤنـــا الأحـــرار إلا أنهـــم أرقـى الشعوب عواطفا وميولا ...إلخ

وإذا وقفنا على صياغة الأبيات فلا نجد فيها روعة ولا جمالا ، فالبيت الأخير- مثلا - فيه استثناء في غير موضعه يخيل للمتلقى غير ما ورد في البيت في قوله إلا أنهم ، وكان أولى لجمال الصياغة أن يقول نفخر بأنهم أرقى الشعوب ....، ويضيع فيه استقامة المعنى فكيف يكون العدو حليفا ؟!

وقد أقع شعر المناسبات شوقى في مأزق المبالغات المقوته ،التى لا يرتضيها ذوق ولا عقل سليم ، **ألم يرفض الذوق العربى قديما قول أبى تمام** :

ويتكفـــل الأيتـــام عـــن آبـــائهم حتـــى وددنـــا أننـــا أيتـــام

1 - راجع : د. على البطل : أحمد شوقى وأزمة القصيدة التقليدية مجلة فصول مجلد 3 العدد1 عام 1982 ص37.

إن (شوقى) رغم ولائه للتراث العربى في قيمه الفنية ،يتنصل عن هذا المبدأ ، ويمدح الخديوى محمد توفيق بأوصاف تصدم ذوق المتلقى المسلم ، **حين قال:**

هـــذا العزيـــز وذاك بـــاب نـــواله تتـــبختر النعمـــاء تحـــت ظلالـــه
أو مـــا تـــرى الســـادات في أبوابـــه ترجـــو لهـــا التشـــريف باســـتقباله
ويظلـــهم "ظـــل الإلـــه" فكلـــهم آتيـــه عبـــدا خاشـــعا لجلالـــه
لـئن تبـاهى بـك الـدين الحنيـف لكـم تقـــوّت بـــك للإســـلام أركـــان
يـــا كـــافي النـــاس بعـــد الله أمرهـــم النصـــر إلا علـــى أيـــديك خـــذلان [1]

فكيـف يتسنى لـه أن يجعل الخـديوى (محمد توفيـق) ظل اللّه على الأرض، ويصفه بصفة لم يصف اللّه بها البشر، إضافة إلى وصفه للخديوى بأنه كما جاء في الآية الكريمة " إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا " سورة مريم الآية رقم 93، وما الذى فعله توفيق ليتباهى به الدين؟!...إلخ.

بـل لا يفتـأ أن يلحـق بـه صـفة التقـديس ، ويعقـد بينـه وبـين النبـى (ﷺ) صفات مشابهة ، **فيقول في مدح الخديوى محمد توفيق :**

تبينـت عـن قـرب صـفات محمـد تـــبين حسّـــان خـــلال النبـــوة
ويومـــا أمـــد اللّه فيـــه "محمـــدا" بأشـرف "نصـر" غـبّ أشـرف هجـرة

وبعدها يقول :ولا يتـورع أن يصـف نفسه بالعبوديـة لـه ، هذه العبوديـة خاصـة للّه في مخاطبته **في قوله:**

– مـــولاى قابـــل بـــالقبول هديـــة مـــن عبـــد رق في الثنـــاء مقصـــر
– فـاسمح لعبـدك وابـن عبـدك منطقـا متطـــايرا بـــك في القـــوافي صـــيته [2]

---

1 - راجع : د. شوقى ضيف : شوقى شاعر العصر الحديث ط . دار المعارف د.ت ص153:154.
2 - راجع : الشوقيات ج1 ص 40.

ولكن رغم ذلك نجد في شعره (شوقى) الذى تحرر من العيوب السابقة (التكلف وعدم معايشة التجربة) نجد في هذا الشعرجمالا فنيا ، عندما أخلص لفنه قبل ولائه السياسى ، وفطن إلى إجادة شعره قبل استجادة القصر والخديوى له ،فمن قصائد المناسبات التى تحررت من هذا الأسر،وعايشها الشاعر بصدق نذكر من هذه القصائد رثاءه لعمر المختار ، **والذى يفتتحها بقوله** :

ركـــزوا رفاتـــك في الرمـــال لـــواء يســـتنهض الـــوادى صـــباح مســـاء

ياويحهم نصبوا منارا من دم يوحى إلى جيل الغد البغضاء ....إلخ.[1]

ومن هذه القصائد أيضا قوله في رثاء عبد الحى المغنى المصرى الشهير ، **والذى يقول في افتتاحها** :

طـوى البســاط ، وجفـت الأقــداح وغــدت عواطــل بعــدك الأفــراح

وانقـــضّ نـــاد بالشـــآم وســـامر في مصـــر أنـــت هـــزاره الصـــداح

إن النص يدعو المتلقى لكشف أغواره البعيدة ، التى لم تتقوقع في دلالة واحدة، ولكن يدعوه إلى ملء فراغاته ، ليتأمل في البيت الأول السبب المفجع لطى البساط ، وجفاف الأقداح ، وتعطل الأفراح ...إلخ ، النص يوحى بدلالات عدة، وعلى المتلقى كشفها ، وإذا أردنا أن نقرأ لشوقى الشعر الصادق الجميل ، المتعدد القراءات ، وجدناه في تعبيره عن غربته وعن شوقه لبلده وهو في المنفي ، **وخاصة سينيته التى يقول فيها** :

وسلا مصر هل سلا القلب عنها أو أســأ جرحــه الزمــان المؤسّــى

كلمـــا مـــرت الليـــالى عليـــه رقّ والعهـــد في الليـــالى تقـــسى

مســـتطار إذا الـــبواخر رنـــت أوّل الليـــل أو عـــوت بـــعد جـــرس

---

1 - راجع : م . نفسه ج 1ص43وما بعدها .

إلى قوله :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه في الخلد نفسى ...إلخ.[1]

فالشاعر لم يقل إنى مشتاق ، ولكن قال : اسألوا مصر عن مدى تعلقى بها، فهى تعرف جيدا مدى ارتباطى وشوقى إليها ...إلخ ، وقد أدرك أنصار النقد الأسلوبى المعاصر هذا الملمح في شعر شوقى في شعره ،الذى اتصف بالصدق والمعايشة فرأى د. محمد الهادى الطرابلسى أن أسلوب شوقى كان " يتغذى من رصيد ثقافي واسع ،فخرج يمثل عصارة مصفاة من التراث العربى الفنى ومن المعارف العربية الغنية ، إلى جانب تصويره تجربة طويلة للحياة والأحياء ...ولقد تميز أسلوب شوقى – في هذا الشعر المعبر عن غربته – بالتوازن بين طاقتين :الإخبارية والإيحائية ....فحقق بذلك رسالة مزدوجة فكرية وفنية معا " [2]

1 - راجع : م . نفسه ج1 من ص 336:341.
2 - د.صلاح فضل : تحولات الشعرية العربية ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ص30.

obeikan.com

-4-

يكثر في شعر حافظ - كأى شاعر من شعراء مدرسة الإحياء - المديح والتهنئة وشعر المناسبات ، الذى لا يحفل بالجودة الفنية، بقدر إرضاء مخاطبه واستمالته ، فله قصائد عدة في مدح الخديوى عباس والملك فؤاد والسلطان عبد الحميد ، وبعض الشخصيات العالمية كإدوارد السابع ، وبعض الشخصيات المصرية[1] حتى الشخصيات الدينية التى مدحها – كالإمام محمد عبده - ينطبق عليها ما وصفنا به شعر المناسبات من التكلف والعجالة ، وافتقاد المعايشة الفنية، فلم تفجر هذه الشخصيات في روعه المعانى الدينية والقيم النضرة [2] وله قصائد عدة في مدح شخصيات غير معروفة لدنا ،فله قصيدة في تهنئة رفعت بركات بوكالته لمصلحة السجون ، يبدأها بمبالغة مرذولة في قوله :

أهنّيك أم أشكو فراقك قائلا أيا ليتنى كنت السجين المصفدا [3]

فيتمنى أن يكون سجينا مصفدا في الأغلال حتى يسعد بصحبته ،وقديما

---

1 - من هذه القصائد قصيدة في مدح الخديوى عباس الثانى بمناسبة حلول عيد الفطر ، وثانية بمناسبة عيد جلوسه في 8 يناير عام 1901م (ديوان حافظ إبراهيم ج1 ص11:15) وثالثة لتهنئته بعيد الأضحى ، ورابعة في تهنئته بالعام الهجرى (م .نفسه ص 28 وما بعدها) وقصيدةخامسة بمناسبة عيد الأضحى (م .نفسه ص40 وما بعدها)وقصيدة سادسة في تهنئة الخديوى بقدومه من الحج ص50وما بعدها)وله قصيدتان بمناسبة عيد جلوس السلطان عبد الحميد (م .نفسه ج 1 ص 5 وما بعدها و ص44 ومابعدها) وله قصيدة في تهنئة للملك فؤاد بعيد جلوسه (م .نفسه ص144 وما بعدها) وله قصيدة مديح في فؤاد الأول (م .نفسه ص 106:108)

وله قصيدة في تهنئة إدوارد السابع بتتويجه (ديوان حافظ إبراهيم ص 8 وما بعدها) وله قصيدة بينة التكلف في تهنئة عبد الحليم عاصم باشا بإ سناده إمارة الحج إليه ،يفتتحها بقوله :

حال بين الجفن والوسن حائل لو شئت لم يكن ...إلخ ديوان حافظ إبراهيم ج1 ص3.

2 - له ثلاث قصائد في الإمام محمد عبده ،واحدة لتهنئته بمنصب الإفتاء (ديوان حافظ إبراهيم ج1 ص4) وثانية في مدحه يغلب عليها التكلف في المحسنات البديعية من بدايتها :

قالوا صدقت فكان الصدق ما قالوا ما كل منتسب للقول قوال (م . نفسه ج1 ص21)

وله قصيدة ثالثة بمناسبة سفره لبعض بلاد الوجه البحرى وكان مصاحبا له (ديوان حافظ إبراهيم ج1 ص21 وما بعدها)

3 - م . نفسه ج1 ص 33.

عابوا على الشعراء مثل هذه المبالغات كقول أبي تمام في المديح :

ويتكفـــل الأيتـــام عـــن آبـــائهم حتـــى وددنـــا أنـــنا أيتـــام

فكيف يتسنى لنا أن نقبل هذه المبالغة الممقوتة ؟!، وله قصيدة في مدح محمد بك هلال تصدّ أذنك عن سماعها من بدايتها ، يقول فيها :

هجعـــت يـــا طـــير ولم أهجـــع مـــا أنـــت إلا عاشـــق مـــدّعى ...إلخ [1]

حتى الأدباء الذين أخذوا حظهم من المدح والتهنئة في شعره ، لم يكن حظهم أوفر من غيرهم في رداءة هذا الشعر[2]،وله قصيدتان في تهنئة سعد زغلول بمناسبة نجاته من محاولة اغتيال[3] وله تهنئة لأحمد لطفي السيد بمناسبة ترجمته لكتاب الأخلاق لأرسطو، يظهرعليها التكلف والنثرية، يقول :

ياكاســـــــــى الأخـــــــــلاق في بلـــــد عـــــن الأخـــــلاق عـــــارى

لم يبق فينا من يجـــا دل في مقامك أو يمـــارى...إلخ [4]

1- م . نفسه ج1 ص 34.

2- له قصيدة في مدح محمود سامى البارودى يبدأها بالغزل ، وبمغامرة نسائية على غرار مغامرات عمر بن أبى ربيعة ، وتظهر شجاعته في فرار المترقبين له عندما رأوا الموت شاخصا أمامهم عند امتشاقه لسيفه (م .نفسه ج1 ص11:7.) وقصائد تهنئة لمحمود سامى البارودى وللدكتور على إبراهيم بك الجراح ، وتحية لخليل مطران ، وتحية لواصف غالى بك ،وتهنئة للسلطان عبد الحميد بالسلطنة . (م . نفسه ج1 ص 71 وما بعدها)

وله قصيدة في فكتور هوجو ، لاتنم بشيء له ، يفتتحها بقوله :

أعجمـــى كـــاد يعلـــو نجمـــه فـــي ســـماء الشـــعر نجـــم العربـــى

(م . نفسه ج1 ص 38)

وأخرى عن ذكرى شكسبير ، يتحدث فيها عن شاعريته ، ومعروف عن شكسبير أنه كان كاتبا مسرحيا في المقام الأول ، وإن كانت المسرحيات تكتب شعرا ، فهناك فارق بين المسرح الشعرى ، والشعر المسرحى ، فالأول يضع جل اهتمامه على تقنيات المسرح ،ويوظف الشعر في الحوار ، بخلاف الثانى الذى يتحول المسرح إلى شعر كما فعل شوقى في افتقاد مسرحه لكثير من تقنيات المسرح ، ووضع جل اهتمامه للشعر ، أما شكسبير فهو مؤسس الدراما الحديثة ، وأعتقد أن حافظا لم يكن يعرف مفهوم الدراما عامة ، لا عند شكسبير ولا عند غيره ، حتى أنه يخاطبه قائلا :

فليتـك تحيـا يـا أبـا الشـعر سـاعة لتنظـر مـا يصـمى ويـدمى ويـؤلم

(م . نفسه ج1 ص 72)

3- راجع : القصيدة م . نفسه ج 1 ص 109 وما بعدها.

4- راجع : م . نفسه ج1 ص 114 وما بعدها .

وله أشعار في تقريظ بعض الكتب ،كتقريظ كتاب فحول البلاغة لتوفيق البكرى ، وهو تقريظ باهت ،من الشعر البارد الذى لا يثير حماسة ، ولا يحرك وجدانا ، **يقول فيها** :

هـذا كتـاب مـذ بـدا سـرّه للنـاس قـالوا : معجـز ثـانى
أثابـك الله علـى جمعـه ثـواب عثمـان بـن عـفان [1]

وأين مقام صاحب كتاب فحول البلغاء من عثمان الذى جمع القرآن؟!

وله تقريظ لجريدة مصباح الشرق ، وتقريظ لديوان مصطفي صادق الرافعى ، وتقريظ لحديث عيسى بن هشام للمويلحى ، وتقريظ كتاب مرآة العروض للشيخ أحمد عثمان المحرزى، وله تقريظ لصحيفة كوكب الشرق ، وتهنئة للمقتطف بعيدها الخمسينى ،وتقريظ كتاب في ظلال الدموع لمحمد شوكت التونى[2]

إضافة إلى شعره في الإخوانيات ، وهى رسائل فيها المداعبات والظرف ، ولاتحفل كثيرا بالجمال الفنى [3]، وإن توافر في بعض هذه الرسائل الجمال الفنى عندما عبر بصدق، **من هذه الرسائل القصيرة ردّه على شوقى من منفاه بالأندلس بقول له** :

يـا سـاكنى مصـر إنـا لا نـزال علـى عهـد الوفـاء – وإن غبنـا – مقيمينـا

1- راجع : م . نفسه ج1 ص 148.
2- راجع : هذه التقريظات لتلك الكتب والمجلات م. نفسه 148:158.
3- كالرسالة التى أرسلها وهو في السودان لصديقه محمدبك بيرم ، وعتابه لمحمد البابى بك ،والقصيدة التى أرسلها إلى داود عمون الشاعر اللبنانى، والرسالة التى أرسلها لإسماعيل صبرى عند استقالته من وكالة الحقانية ،والرسالة التى كتبها إلى أحمد بك بدر وهو في كلية أدنبرة بإنجلترا ، والرسالة التى أرسلها إلى حفنى ناصف لانتقاله للقضاء بنظارة المعارف عام 1912 ،والرسالة التى أرسلها للهراوى، ودعابة لمحمد البيلاوى ودعابة للدكتور محجون ثابت ، ودعابة لصديق لم يذكر اسمه ، وعتابه لمحمد سليمان أباظة بك ، واستعطاف للشيخ محمد عبده ، وعتاب لجماعة من أصحابه ، وذكرى لطائفة منهم، وكلمة وداع لشوقى إلى مؤتمر المستشرقين ، ووداع لصديقيه محمدبدر وأحمد بدرعند سفرهما إلى بلاد الإنجليز للتعليم ..إلخ (راجع هذه القصائد في ديوان حافظ إبراهيم ج1ص 162:166 وص166 و ص 167 وما بعدها وص171 وما بعدها، وص172 وما بعدها ،وص 179:184،وص 187:188 وص187:194 وص194:201)

هـلاّ بعثـتم لنـا مـن مـاء نـهركم شـيئا نبـل بـه أحشـاء صـادينا
كـل المناهـل بعـد النيـل آسـنة مـا أبعـد النيـل غـلا عـن أمانيـنا

فأجابه حافظ بهذه الأبيات:

عجبـت للنيـل يـدرى أن بلبلـه صـاد ويسـقى ريـا مصـر ويسقيـنا
والله مـا طـاب للأصـحاب مـورده ولا ارتضـوا بعـدكم مـن عيشـهم لينـا
لم تنـأ عنـه وإن فارقـت شـاطئه وقـد نأينـا وإن كنـا مقيمينـا [1]

فعنـدما عـايش الشـاعر تجربتـه – وهـذا قليـل بالقيـاس لشـعر المناسـبات في شعره – نجد قصائد جميلة في أدائها ووقعها الفنى في النفوس ، من هذه القصائد قصيدة قالها في استقبال الشاعر أحمد شوقى عند قدومه مصر، وهو راجع من منفاه في أسبانيا، يشيد فيها بجمال شعره وروعة بيانه ، يفتتحها بقوله :

ورد الكنانـة عبقـرى زمانـه فتنظـرى يـا مصـر سـحر بيانـه
وأتـى الحسـان فهنئـوا ملـك النهـى بقيـام دولتـه وعـود حسانـه
النيـل قـد ألقـى إليـه سمعـه والمـاء أمسـك فيـه عـن جريانـه
والزهـر مصـغ ، والخمائـل خشـع والطـير مسـتمع علـى أفنانـه
والقطـر في شـوق لأندلـسية شـوقية تشـفيه مـن أشـجانه
يصـغى لأحمـد إن شـدا متـرنما إصـغاء أمّـة أحمـد لأذانـه

فاصدح وعن النيل واهززعطفه يكفيه ما عاناه من أحزانه.إلخ. [2]

فقد جعل مصر كلها في انتظاره لسماع سيمفونياته الرائعة التى تطرب السمع ،وتهز القلوب ، وما أجمل الطبيعة عندما تأتى مشتاقة لسماع قيثارة شوقى،

1 - م . نفسه ج1 ص 187:186.
2 - راجع : م . نفسه ج1 ص 103:98.

obeikan.com

التى يطالبه في النهاية بأن لا يتوقف عن التغريد حتى يسعد هؤلاء الذين أتوا إليه في شوق دافق لسماع شعره ، وله قصيدة جميلة في احتفالية تتويج شوقى بإمارة الشعر عام 1927 وكان المرض قد حجبه من الحضور ، يفتتحها بقوله :

بلابل وادى النيل بالمشرق اسجعى بشعر أمير الدولتين ورجعى
أعيدى على الأسماع ما غردت به يراعة شوقى في ابتداء ومقطع
براها له البارى فلم ينب سنها إذا ما نبا العسّال في كف أروع..إلخ [1]

وفي مواقف أخرى نجد قصيدة أخرى - في مدح شوقى - تفتقد الجمال لأنها افتقدت المعايشة الفنية ، ففي حفل بدار التمثيل العربى عام 1920 (أطلقوا عليه سوق عكاظ) ترأسه شوقى ، ألقى حافظ هذه القصيدة في هذه الاحتفالية بشوقى ، ويفتتحها بقوله :

أتيت سوق عكاظ أسعى بأمر الرئيس
أزجى إليه قواف منكسات الرءوس
ليست بذات رواء تزهى به في الطروس
ولا بذات جمال سرى بها في النفوس [2]

1 - راجع : م . نفسه ج1 ص 130: 117.
2 - راجع : م . نفسه ج1 ص 103 وما بعدها .

-5-

يكثر في شعرإسماعيل صبرى المديح والتهانى والتقريظ ، فله سبع قصائد في مدح وتهنئة الخديوى إسماعيل في مناسبات عدة (عيد الأضحى – عيد الفطر – قدومه من الآستانة – وبدون مناسبة) [1] وتهنئات أخرى في مناسبات متعددة، يظهر في شعره التكلف والنثرية [2] وكثير من قصائد الرثاء سواء للأسرة الحاكمة، أو لشخصيات بارزة في عصره ، تفتقد الجمال الفنى ، وتطبع بالتكلف ، وسطحية المعنى.[3] وما ينطبق على هذه القصائد في التكلف وضحالة القيمة الفنية ينسحب

1- راجع هذه القصائد فى ديوان إسماعيل صبرى من ص 21:1، ومدحة له بمناسبة انتقاله من القاهرة إلى الإسكندرية عام 1890م (م . نفسه ص 32:31) وقصيدة مديح بمناسبة عيد جلوسه وإياب نجله عباس من أوربا (م. نفسه ص335:34))ومدحة له (م . نفسه ص71:66) وقصيدة في محاولة اغتياله عام 1914 م (م. نفسه ص 8) وقصيدة مدح للسلطان حسين كامل مناسبة توليته سلطنة مصر بعد الخديوى عباس الثانى عام 1914 (م. نفسه ص84:82) وقصيدة أخرى لمحاولة اغتياله (م. نفسه ص87:86) وقصيدة رثاء لتوفيق باشا الخديوى عام 1892 (م . نفسه ص198 ومابعدها)

2- فله قصيدة تهنئة للخديوى محمد توفيق بمناسبة عيد الأضحى (م . نفسه ص22) وأخرى بمناسبة العيد الهجرى(م .نفسه ص23)وثالثة بمناسبة اختتام السنة الميلادية (م .نفسه ص23) ورابعة بمناسبة قدوم نجله عباس الثانى (م .نفسه ص24)وخامسة بمناسبة عيد الأضحى (م .نفسه ص26:25) وسادسة بمناسبة عيد الفطر (م .نفسه ص27) وسابعة بمناسبة عيد الأضحى (م .نفسه ص31:29) وتهنئات عدة بمختتم السنة الميلادية ، وبمناسبة عيد الفطر أو عيد الأضحى (م . نفسه من ص41:35ومن ص58:54)وتهنئة لعباس الثانى لعودته من الحج (م . نفسه ص66:63)

3- له قصيدة رثاء لسليم تقلا بك مؤسس الأهرام عام 1893 م (م.نفسه ص 202)ورثاء لأمين فكرى باشا عام 1899 (م .نفسه ص 204وما بعدها) ورثاء الإمام محمد عبده عام 1905 (م.نفسه ص207 وما بعدها)ورثاء لإسماعيل نجيب نجل إبراهيم نجب باشا وكيل الداخلية عام 1907م (نفسه ص 208 وما بعدها)ورثاء مصطفى كامل عام 1908 (م .نفسه ص213 وما بعدها)ورثاء عمر نجل على وسف صاحب المؤيد عام 1908م (م .نفسه ص217 وما بعدها)ورثاء إسماعيل ماهر بك قاضى محكمة الإسكندرية عام 1910 (ص 219م .نفسه وما بعدها)وتعزية بعث بها إلى يوسف باشا سابا عن فقد نجله فريد عام 1912(م .نفسه ص221)ورثاء لعلى أبى الفتوح عام 1914 (م.نفسه ص222وما بعدها) وتعزية للسلطان حسين كامل لوفاة أمه عام 1916 م (نفسه ص 224 وما بعدها) ورثاء للسلطان حسين كامل عام 1917 (م .نفسه ص226 وما بعدها)

على شعره في تقريظ بعض الكتب ،ورسائله لبعض أدباء عصره [1] إضافة إلى تهنئات ومدح لشخصيات غير معروفة لدينا [2]، وأبيات في في الهجاء والفكاهة وطرائف غزلية [3].

ولكن شعر صبرى في أكثره ينماز بالمعايشة الفنية والعاطفة الرقيقة التى تكسو شعره جمالا خلاقا ، ولعلنا نجد في شهادة الدراسات التى قدمت للديوان ما يبرر لرأينا ، يقول طه حسين : لم يكن صبرى شاعرا مكثرا وإنما كان مقلا شديد الإقلال، ولم يكن صبرى يتخذ الشعر صناعة ،وإنما كان يتخذه لونا من ألوان الترف.... وأن شعره هذا القليل الذى لم يكن قطّ جزءا أساسيا من جوهر حياته ، وأنه في بدايات حياته الفنية يبدو متكلفا مجتهدا في مدح الأشخاص ، ولكن وراء هذا الاجتهاد وذلك التكلف شيئا يريد أن يظهر،ولابد أن يظهر ،وهو إن ظهر سيميزالشاعرمن معاصره جميعا ،وهذا الشيء هو خفة الروح ، ورقة الحس، ودقة الخيال ن وامتياز الطبع ،وحدة المزاج ،وارتفاع الذوق ...ونلاحظ من وراء المدح الكثير جذوة ضئيلة جدا ، ولكنها شديدة الحظ من الحياة والقوة ، تعطر نفسا

---

1 - له تقريظ لكتاب النخبة الوافية في علم الجغرافية ليعقوب صبرى (م.نفسه ص21) وله قصيدة مديح لواصف غالى باشا بمناسبة ترجمته لبعض الأشعار من العربية إلى الفرنسية في كتاب سماه (روض الأزهار) (م .نفسه من ص84:86)
وله أربع رسائل إلى الأميرة الكسندره أفيرنيوه ، واحدة يرغب إليها في أن تعيد مجلة أنيس الجليس إلى الظهور (ص49:50 من ديوانه) والثانية يشيد فيها ببلاغتها (ص73:74 من ديوانه) والثالثة بدون مناسبة من(ص74:75 من ديوانه) والرابعة بدون مناسبة (ص121 من ديوانه)ورسالة لأحمد شوقى بمناسبة حصوله على الرتبة الثانية التى نالها عام 1905 (ص50 من ديوانه)وتقريظ لكتاب مختصر القاموس في اللغة لمحمود بك خاطر ، وتقريظ لكتاب ليالى سطيح لحافظ إبراهيم وتقريظ لمجلة الإخاء ، وتقريظ للجزء الأول من ديوان الشاعر أحمد نسيم ، ثم تقريظ للجزء الثانى ، وتقريظ لمختارات البارودى ، وتقريظ ديوان فؤاد الخطيب (ص 51:62من ديوانه) وتقريظ لكتاب قلائد الحكمة للأستاذ أحمد الزين (ص88 من ديوانه) وقصيدتان فى تكريم خليل مطران وأخرى في تقريظه (ص76:77من ديوانه)

2 - له تهنئة لأحمد زكى باشا لحصوله على الباشوية ص71، وأخرى لحافظ لحصوله على الباكوية (ص72 من ديوانه) ،ومدحة لعمر طوسن لما بذله من المال والجهد لإعانة جرحى الترك في الحرب البلقانية من ص 78:80من ديوانه.

3 - راجع : م . نفسه ص 92 وما بعدها .

ممتازة تعطر هذا الجو الذى يسميه الناس جو الجمال والحب والغناء [1] إنها روح الشعر التى تبعث فيه النضارة والرونق والجمال ، فتعطيه تألقا ووقعا وتأثيرا في النفوس ،ابتهاجا بجمال الشعر ، وتحقيقا للمتعة الجمالية التى هى غاية الفن في أسمى صوره ، ويقول في موضع آخر " فقد استسلم صبرى للشعر ،ولكن في قصد واعتدال ، فلم يتخذه صناعة ، ولم يتوسل به إلى الرقى ،ولم يتوسل به إلى الكسب ، ولكنه مع ذلك مدح ، ورثى وجامل مؤديا للحق ،أو مشاركا في الفن ،ولم يرسل نفسه على سجيتها حقا إلا حين تغنى بعواطفه وميوله وأهوائه ...وكان شعره المصور لنفسه حقا من أجل هذا غناء خالصا بأدق معانى هذه الكلمة وأرقاها ،لايصور نفسه وحدها ،ولكنه يصور معها نفوس الناس حين يمرون بمثل هذه الأطوار التى يصفها في شعره" [2] ففي كثير من شعره ينطلق من الواقعة الشخصية إلى قيمة إنسانية ، ومن التجربة الفردية إلى تجربة عامة ، وذلك بإضفاء الطابع الإنسانى عليها .

وجاء مفهومه لصياغة الشعر وتجربته الفنية متماشيا مع هذه الرؤية ، والنظر إلى الشعر كقيمة جمالية ، **له مكانته الرافية ذات الطابع الإنسانى** :

شعر الفتى عرضه الثانى فأحرى به ألا يشوه بالأقدار والوضر

فانقد كلامك قبل الناقدين تحط ثانى النفيسين من لغو ومن هذر[3]

وقد علق على هذين البيتين أحمد أمين بقوله " لقد التزم هذه النصيحة ... وطبقها على نفسه في شعره ...فكان يغار على شعره غيرته على عرضه ، لقد كان في عرضه يحرص على أن يطيب في المحافل نشره ....يعد البيت من الشعر يصدر عنه كالفعل المشهور ، والأثر المأثور ...يتمهل في صوغه ، يغوص على المعانى

1 - راجع كلمة طه حسين مقدمة ديوان إسماعيل صبرى ص من 10:8
2 - م . نفسه ص11.
3 - ديوان إسماعيل صبرى ص 60.

كالغوص على اللآلىء ، ثم لايقنع بأية لؤلؤة ، بل لايرضى بها إلا أن تكون غاية القصد ،وواسطة العقد ،فإذا عثر عليها تعب في أن يتخير لها سلكها ووفقها ، حتى تخرج كاملة يعجب بها الذوق الراقى " [1]

أما الشعر الذى يظهر نبوغه فهو مقطوعاته القصيرة ،التى يذوب فيها قلبه، ويمزج فيها دم نفسه بمعناه ولفظه ، يغنى فيها لنفسه ،ويقصد بها إلى بث لوعته، وتخفيف كربته ...تمتاز هذه المقطوعات القصار بصدق العاطفة ، حتى ليبكى السامع لبكاه ويأنف لأنفته ،ثم بدقة المعنى ورقته حتى كأنه مناغاة أطيار ، أو مناغاة أوتار ، وأخيرا عذوبة اللفظ ، فهو سهل على الطبع ، حسن الوقع على السمع [2]

ومن هذه الأشعار قوله :

يـــــاموت هأنـــــذا فـــــخذ ... مـــا أبقـــت الأيـــام منـــى
بينـــــى وبينـــــك خطـــــوة ... إن تخطـــــها فرجـــت عنّـــى

ومنه – أيضا – قوله :

خشـــيتك حتـــى قيـــل لم أثـــق ... بأنـــك تعفـــو عـــن كـــثير وترحـــم
وأملـــت حتـــى قيـــل لـــيس بخـــائف ... مـــن الله أن تشـــو الوجـــوه جـــهنم
فشـــأنى في حـــالى يـــارب حيـــرة ... بهـــا أنـــت مـــن دون البريـــة أعـــلم
أقلنى من الشك الذى قد أحاط بى ... فشـــأنى في حـــالى يـــارب مـــبهم
مر الحجب يرفع عنك أستقبل الهدى ... صـريحا ويـنهج مـنهج الحـق مجـرم

ويقول في الأمل في الله :

أنـا يـا إلهـى عنـد بابـك واقـــف ... لا أبتغـــى عنـــه الزمـــان عـــدولا

---

1 - أحمد أمين : إسماعيل صبرى باشا مقدمة الديوان ص 16:15.
2 - راجع : م. نفسه ص17.

مـا جئـت أطلـب أجـر مـا قدمتـــه حاشـــا لجـــودك أن يكـــون قلـــيلا

عظمـــت آمـــالى وصـــغرت الـــورى مـــن ذا لهـــا إن لم تـــك المـــأمولا

إنـــى ليعجبنـــى وقـــوفي سائـــــلا إن كنـــت أنـــت الســـيد المســـئولا

وعن وجود الله قال :تعالى الله لا يعلـــــم كنه الله إنسان

أتبحـــــــــث عنـــــــــه في واد ومنـــــــــه الكـــــــون مـــــــلآن

أتنكره وأنت عليـه لو فكرت برهان [1]

إننـا نجـد في هـذا الشعر صـفاء وعذوبـة وصـدقا ، لـذا لانجـد تكلـف في معنـى ، ولا لفظـة جـاءت في غـير موضـعها ،إن هـذا الشـعر يـدخل الأذن بغـير أذن كمـا قـال عبد القاهر الجرجانى قديما ، لجمال موسيقاها وروعة ألفاظه ،ورقة معانيه وصفاء خياله ، هذه هى سمات الشعر المطبوع الذى أشاد به القدماء، ومن يتشوف جمال الشعر في عصرنا.

لقد كان شعر إسماعيل صبرى لقلتـه أكثـر صدقا ومعـا يشة لتجاربـه الفنيـة ، إضـافة إلى جنـوح الشـاعر للوضـوح (الفنـى الـذى يسـمو عـن الابتـذال والانحطـاط السـافر) والبعـد عـن الغمـوض والتعقيـد ،ممـا جعـل لشـعره - و في كـثير مـن شـعره في المديح والتهانى - وقعـا خاصـا ، ولمـا يمتـازبـه صاحبه من أذن موسيقية تتلمس بدقـة مواضـع الـنغم ، وتحـاول أن تثـرى القصـيدة بأدواتـه الموسـيقية المطربـة ، فمثلا يقول في تهنئة الخديوى عباس الثانى بمناسبة عيد الفطر :

وخصـــــك الله بمـــــا ترتضـــــى مـــن ســـؤدد محـــض وملـــك كـــبير

وزان أيامـــــك حتـــــى غـــــدت خـــالا علـــى خـــد الزمـــان النضـــير

وصاغ أخلاقك تزرى بأز هـار الربا طيبا ونشر العبير...إلخ [2]

1 - ديوان إسماعيل صبرى من ص 192:194.
2 - م . نفسه ص 35.

فالشاعر لم يحدد دلالته كما عهدنا في قصائد المدح من تشبيه الممدوح بالأسد في الشجاعة وبالثعلب في الدهاء ، وبإياس في الذكاء ..إلخ ، بل جعل المعنى مفتوحا يتأمله المتلقى ،ويتأمل في جمال الخديوى الكثير من الأوصاف ،وجعل أخلاقه كأزهار الربا ، نشوة وانتشارا ورقة ووقعا في النفوس ....إلخ ، إن النص الشعرى بهذا التشكيل لأشبه بالبحر الزاخركلما استخرجت منه اللآلىء والمرجان ، وجدت فيه الأكثر والأكثر ...فكلما استخرجت دلالة وجدت دلالات أخرى أكثر رقة وجمالا.

وفي مراثيه يبلغ أوجا من الكمال الفنى ، للصدق وحسن المعايشة الفنية ، والبعد عن التكلف ، ولين طبعه ،وعذوبة لفظه ، ومتانة الجملة الشعرية في اتساقها في البيت الشعرى ، **فمثلا يقول في رثاء عبد الله فكرى باشا :**

إن الليالى من أخلاقها الكدر ... وإن بدا لك منظر نضر

قد أسمعتك الليالى من حوادثها ... ما فيه رشدك ، لكن لست تعتبر

إن كنت ذا أذن ليست بواعية ... قل لى بعيشك ماذا تنفع العبر

قد غيبوا ماجدا كانت مناقبه ... بها الزمان إذا ما زل يعتذر [1]

إننا نتمثل جمال هذا الشعر هنا وفي غيره من القصائد ، في تحليل أنطون الجميل للعوامل التى أثرت في شعره ،(الحس والحكمة والحماسة) وهذه العوامل كان لها الأثر في جمال شعره لأنها " أكسبته من روعة المعانى ورقة العواطف جمالا زاد سناه حسن الديباجة وفصاحة اللفظ ، فكانت السلاسة والعذوبة ، والانسجام وسلامة الذوق ...فشعر شوقى أشبه بالنقد الذهبى يحفظ قيمته في كل زمان ومكان، إذا ما كان سائر الشعر ...عرضة للرواج حينا وللكساد حينا " [2]

---

1 - م . نفسه ص 195:196.

2 - أنطون الجميل :العوامل الشعرية في نظم إسماعيل صبرى باشا مقدمة الديوان ص24.

-6-

يكثر في شعر على الجارم المديح والتهنئات ، في صورة مبتذلة ساذجة يغلب عليها التكلف، نجد قصائد في مدح الخديوى فاروق والملك فؤاد، في مناسبات متعددة ، فلا نجد المعايشة الفنية التى هى جوهر العمل الفنى، والذى يعطيه الجمال والجلال والخلود ، ووصل الأمر إلى مدح إبراهيم بن محمد على (نشرت عام 1948م) بمناسبة مرور مائة عام على وفاته ،عندما أزاحوا الستار عن تمثاله المقام بميدان الأوبرا بالقاهرة ، **وبدأ القصيدة بمقدمة باهتة في قوله:**

طمـــوح! وإلامـــا صـــراع الكتائـــب وعـــزم ! وإلا فـيم حـثّ الركائـب [1]

وله قصيدة بعنوان نشيد التاج بمناسبة تولية الملك فاروق الحكم يبدو عليها النثرية والنظم الجاف ، **يقول فيها** :

فاروق يا نجم الهدى دم للعلا

أدركت غايات المنى متمـهلا

الشعب يلمح نوركم متفائـلا

---

1 - ديوان على الجارم ج1 ص46 وما بعدها. وله قصيدة بعنوان (التاجية الكبرى)تهنئة للملك فاروق لتوليه سلطته الدستورية في يوليه عام 1937 (ديوان على الجارم ج1 ص143 وما بعدها) وأخرى بمناسبة الاحتفال بذكرى مولد الملك فاروق عام 1943،يبدأها بمبالغة غير مقبولة :

هـــات مـــن وحـــى الســـماء الكلمـــا واجعـــل الأيـــام والـــدنيا فمـــا

راجع : م . نفسه ص 133 وما بعدها.

فلا يستأهل الملك أن نتضرع للسماء ، لأن تمنحنا درر الكلام الذى يليق بمدح هذا الرجل ...إلخ .وله قصيدة بمناسبة الزفاف عام 1938 (ديوانه ج1 ص196 وما بعدها) ،وأخرى بمناسبة ذكرى الزفاف الملكى (ديوانه ج1 ص497 وما بعدها) وقصيدتان بمناسبة عيد الجلوس الملكى العام نفسه (ديوانه ج1 ص160 وما بعدها وج2 ص 531 وما بعدها)،وقصيدة تهنئة بعيد الفطر المبارك (ديوانه ج1 ص 176 وما بعدها)، وقصيدة أخرى بمناسبة عيد الفطرعام 1937 م (ديوانه ج1 ص 481 وما بعدها)وقصيدة له بمناسبة زيارة الملك لرشيد بلده (ديوانه ج1 ص223 وما بعدها)وله قصيدة بمناسبة عيد ميلاد الأميرة فريال (ديوانه ج1 ص278 وما بعدها)،وأخرى تحية لها (ديوانه ج1 ص291)

زين الحمى سبط البنان....إلخ [1]

وله شعر كثيرمن مناسبات عدة يفتقد الجمال الفنى ، لنفس العوامل التى ذكرناه من قبل وهى افتقاد المعايشة الفنية ، وتحول الشعر إلى نظم ، مع التكلف في التصوير والمحسنات البديعية [2]

أما التجارب الذاتية التى عبر فيها بصدق في مراثيه كرثائه لعبد العزيز جاويش ورثائه لعاطف باشا وكيل وزارة المعارف ، ورثائه للزهاوى ،ورثائه لإسماعيل صبرى، وقصيدة رثاء زعيم ، ورثاء سعد زغلول في قصيدة كل بيت سعد ، ورثائه داود بركات في قصيدة إلى داود بركات ،وقصائد أخرى في غير الرثاء مثل

---

1 - م . نفسه ج1 ص287. وله قصيدة بمناسبة عيد جلوس الملك فاروق في السودان ،يبدأها بتكلف ظاهر :

عيد الجلوس صدقت وعدك بالمنى وصدقت وعدى ...إلخ

(ديوانه ج2 ص465ومابعدها)

وله قصيدة أخرى بمناسبة جلوس الملك فاروق عام 1945بينة التكلف

(ديوانه ج1 ص254 وما بعدها)

وله قصيدة في مدح الملك فؤاد عندما زار مدينة أسيوط عام 1930 ، بدأها بقوله :

طلعت فأبصار الرعية خشع وأشرقت مثل الأنجم في الأفق يلمع ..إلخ

(ديوانه ج2 ص 365وما بعدها)

وأخرى في رثاء الملك فؤاد عام 1936 (ديوانه ج2 ص406 وما بعدها)

2 - نذكر من هذه القصائد قصيدة أعلام المجمع في رثاء أحمد الإسكندرى ونالينو وحسين وإلى أعضاء المجمع اللغوى ،أنشدت بدار الأوبرا عام 1939، يقول فيها :

غدا في سماء العبقرية نلتقى وتجتمع الأنداد بعد التفرق

(ديوانه ج 1 ص182وما بعدها)

وقصيدة بعنوان بغداد ،ألقيت في حفل افتتاح المؤتمر الطبى العربى في نوفمبر عام 1938م (ديوانه ج1 ص187 وما بعدها)وله قصيدة بعنوان تحية دار الإذاعة ، بمناسبة الاحتفال بانتهاء العام الثالث من إنشائها، يبدو عليها التكلف ، يبدأها بقوله :

سارى الهواء ملكت أى جناح وحللت أى مشارف وبطاح ...إلخ

(ديوانه ج 1 ص211وما بعدها)

وله قصيدة أخرى بمناسبة احتفال دار الإذاعة بانتهاءالعام الرابع من إنشائها ، لا تقل تكلفا وتمحلا من القصيدة السابقة ، يبدأها بقوله :

فتاة القريض اهبطى من عل مددت يدىّ ،فلا تبخلى...إلخ

(ديوانه ج2 ص 507وما بعدها)

وله قصيدة بعنوان تكريم يهنىء فيها توفيق شوشة زكيل وزارة الصحة بمناسبة الإنعام عليه برتبة الباشوية عام 1945، من مبالغاته غير المقبولة فيها قوله :

بسمات الربيع في بسماته وسنا الصبح من سنا قسماته ....إلخ

(ديوانه 2 ص511وما بعدها)

قصيدة الشباب ، وقصيدة الجامعة العربية ، وحنين طائر ...وغيرها ، كل هذه القصائد تعبر بصدق عن مشاعر الشاعر فنجد في هذه القصائد روعة وجمالا ، فمثلا

قول في رثاء عبد العزيز جاويش:

دموع عيون أم دماء قلوب على راحل نائى المزار قريب
نعاه لنا الناعى فافزع مثلما تراع بصوت في الظلام رهيب إلخ [1]

وفي قصيدة الشباب التي تعبر عن تجربة شخصية صادقة يقول :

أهبت بالشعر أن يعودا إلى الصبا ناعما رغيدا
يذكر ما مر من عهود لله ما أنضر العهودا
في كل يوم أرى فناء وهو يرى حوله خلودا
طار حثيثا بكل أفق لمّا مشت خطوتى وئيدا
وصوحت دوحتى ، ومالت ولم أزل صادحا غريدا
يأخذ ما أبقت الليالى ويبتغى فوقه مزيدا
تجاربى الباكيات عادت تجرى بأوتار نشيدا
في حكمة الشيب لى عزاء وكم وعيد حوى وعودا
كادت أياديه وهى بيض تنسى حلى الشباب سودا...إلخ [2]

إن الشعر في هذه الأبيات ينساب رقيقا جميلا ، وكأنه مياه صافية تنساب في أرض منبسطة لا نجد فيها سرعة هادرة ، ولا جمودا مملا ، وكل كلمة وضعت في موضعها ، وكأنها قدت بهذا المقدار ، لا نجد غرابة و لا فظاظة في اللفظ ، ولكن نجد عذوبة ولينا ، لينساب الشعر في لحن جميل ، فيحدث الطرب والمتعة والجمال ، وتتنوع قراءة النص من قارىء لآخر لثراء النص ، وعدم محدودية دلالته .

---

1 - م . نفسه ج2 ص487وما بعدها .
2 - م . نفسه ج2 ص 392وما بعدها.

نقد د. أحمد هيكل هذه الظاهرة – شعر المناسبات لما بها من تكلف – في شعر مدرسة الإحياء فقال: لقد جرت هذه الظاهرة السيئة – ظاهرة المناسبات والمحافل – على عدة ظواهر سيئة تفرعت عنها ، من أهمها عدم تعبير الشعر في كثير من الأحيان عن تجارب صادقة ، ومن أهمها – أيضا – تشكل أسلوب الشعر، بما لا يلائم المحافل ومجامع الجماهير ومواقف خطابهم ، ومن هنا كثر عند الشعراء المحافظين التعبير المباشر الذى يجعل الشعر أحيانا قريبا من النثر، فيفسد عليه كثيرا من قيمه الفنية ، لأن ما أمكن أن يقال نثرا من الأفضل ألا يقال شعرا [1].

وكثر عند هؤلاء الشعراء الأسلوب الخطابى ،وما يستلزمه من صيغ النداء وأفعال الطلب ،وما إلى ذلك ، حتى أصبح ذلك كله مظهرا من مظاهر افتتاح القصائد عند بعضهم ، فمن الافتتاحات الخطابية عند أحمد شوقى : قم ناج جلق ، قم حيّ هذه النيرات ، قم ناد أنقرة ، قم ناد أهرام الجلال ، قف بممالك وانظر دولة المال ، قف على كنز ببلريس ثمين ، آذار أقبل قف بنا يا صاح ...إلخ [2]

أما السيئة الثانية- كما يرى د . أحمد هيكل - التى تقابل حسنة تجويد الصياغة ، فهى أن كثرة العناية بالصياغة والإفراط في الجانب البيانى ، جعل المثل الأعلى في الأداءالشعرى مثلا متعلقا بالشكل ، مهتما باللفظ ، غير مكترث بالمضمون أو معنى بالمعنى ، فتحول الشعر إلى صياغات جميلة في يسر وموسيقى تملأ الأذن ،

1 - راجع د. أحمد هيكل: تطور الأدب الحديث في مصر ط دار المعارف ط1 عام 1978 م .ص144 .
2 - يمكن الرجوع إلى الشوقيات للوقوف على هذه القصائد على التوالى كالآتى :الشوقيات ط القاهرة عام 1950 ج2 ص122ن وج1 ص 102،وج1ص175،و ج1 ص198،وج1 ص129،وج1 ص229، وج1 ص312،وج2 ص23.

مع إهمال جانب الأفكار المدققة والتجارب النفسية العميقة ، وظهور شخصية الشاعر ورؤيته في الوجود والحياة والكون ...إلخ [1]

ولعله في هذه النقطة (الأخيرة حيث شخصية الشاعر ورؤيته) يشير إلى شعر الوصف والتجارب الخاصة التى أجاد فيها هؤلاء الشعراء ،وإن كنا لا نوافقه في قوله(جعل المثل الأعلى في الأداءالشعرى مثلا متعلقا بالشكل ، مهتما باللفظ ، غير مكترث بالمضمون) فالشعر ليس بالمعانى ، ولكن في تشكيله اللغوى بدليل أن أى فكرة وإن بدت تافهة في رؤيتنا نراها في الشعر جميلة مؤثرة ، **كقول الشاعر ذى الرمة القديم** :

عشية ما لى حيلة غير أننى بلقط الحصى والخط في الترب مولع
أخط وأمحو الخط ثم أعيده بكفي والغربان في الدار وقع [2]

شعر المناسبات يقوقع الشاعر ،ويحد من انطلاقه في تجاربه الشخصية ويلزمه بإطار معين لإرضاء ممدوحه ،والفن وإن كان تعبيرا عن الواقع ، ولكن هذا التعبيرمن خلال وجدان المبدع ،أى الواقع معكوسا على مرآة الذائقة الشعرية للشاعر - والمبدع عامة - وتجربة شعر المناسبات تكاد تكون نقلا حرفيا لمجريات الواقع ، وليس الشاعر مؤرخا ، ولكنه مبدع ،والفن لا يستنسخ الطبيعة ، ويرسمها كما هي في الظاهر ، وكان هذا المفهوم سائدا في نظرية الأدب منذ القدم ، فليس الفن عند أرسطو تقليدا أعمى لظواهر الطبيعة ، فالفن – عنده - وإن حاكى الحياة، ولكنه لا يستنسخها ، فالمحاكاة عند أرسطو تجاوز الواقع ، وعدم التشبث بتفاصيله

1 - راجع د . أحمد هيكل : تطور الأدب الحديث في مصر ص145.
2 - راجع : د. محمد مندور : النقد المنهجى عند العرب ط دار نهضة مصر د . ت ص 35 ، حيث ناقش ابن قتيبة في احتفائه بالمعنى في قول الشاعر :
والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

الدقيقة ، لذا رأى أرسطو " أن عمل الشاعر ليس رواية ما وقع ، بل ما يجوز وقوعه ، وما هو ممكن على مقتضى الرجحان أو الضرورة ، فإن المؤرخ والشاعر لا يختلفان بأن ما يرويانه منظوما أو منثورا (فقد تصاغ أقوال هيرودوس في أوزان ، فتظل تاريخا ، سواء وزنت أم لم توزن) بل هما يختلفان بأن أحدهما يروى ما وقع ، على حين أن الآخر يروى ما يجوز وقوعه ، ومن هنا كان الشعر أقرب على الفلسفة ، وأسمى مرتبة من التاريخ ، لأن الشعر أميل إلى قول الكليات ، على حين أن التاريخ أميل إلى قول الجزئيات "[1]

والفن في أساسه إيحاء ، أى تعبير غير صريح ، أو غيرمباشر عن فكرة أو معنى ، وهوبهذا يفرض التفكير على متذوقه ،وكلما ازداد الفن غموضا زادت فيه قوة الإيحاء ، لهذا كانت الموسيقى إيحاء صرفا ، لأنها لا تقول شيئا بل توحى إلى السامع مشاعر مختلفة [2].

و يقول لالو: الشعر في جوهره إيحاء ومصادر الإيحاء فيه :عناصر الإيقاع أو التكرار الموزون والموسيقى والوزن والحركة ، ومواكب المؤلفات الفكرية ، أو تداعى الأفكار وما تثيره الصورة الواحدة من صور وعواطف وأفكار وما يضيفه القارىء أو السامع من نفسيته إلى الشعر الذى يتذوقه [3] ورأت روز غريب أن "من ميزات الشعر الإيجاز والصعوبة والغموض وهى من مصادر الإيحاء فيه ، أما إيجازه فمنشأه تقيده بالوزن واستغناؤه عن الروابط لتقطيعه أبياتا ، ولكونه يشبه الزفرات المتقطعة إذا كان عاطفيا واللمحات المتتابعة إذا كان تصويريا " [4]

---

1 - أرسطوطاليس : كتاب أرسطو طاليس فى الشعر - نقل أبى بشر متى بن بونس القنائى من السيريانى إلى العربى - حققه مع ترجمة حديثه د. شكرى محمد عياد - دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة 1967. ص64.

2 - راجع: روز غريب: النقد الجمالى وأثره في النقد العربى ط دار الفكر بيروت عام 1993. ص86.

3 - راجع : م. نفسه ص 97.

4 - م . نفسه نفس الصفحة.

فالإيحاء هو العمود الفقرى لتعدد دلالات النص ،وأول عناصر الإيحاء الإيجاز ،

فمثلا من محاسن الإيجاز في غزلية شوقى :

خـــــدعوها بقـــــولهم حســـــناء والغـــــوانى يغـــــرهن الثنـــــاء

أن الكلام أقل من المعانى والخيال متسع غير محدود ، **ومن أبياتها الجميلة لإيجازها ووافر الغموض الفنى قوله:**

إن رأتنـى تميـل عنـى كـأن لـــم تـــك بينـــى وبينهـــا أشـــياء

يـــوم كنـــا و لا تســـل كيـــف كنانتهـادى مـن الهـوى مـا نشـاء

جـاذبتنى ثـوبى العصـىّ وقالـت : أنـــتم النـــاس أيهـــا الشـــعراء [1]

فالقـارىء يبحـث في هـذه الأبيـات عـن الـدلالات غـير المحـدودة ، ففـي قولـه نتهادى في الهوى ما نشاء ،تحث القارىء على تأمل أنواع هذا التهادى ،ولا يمكن بلورة فكرة محددة لهذا التهادى ، وفي قوله : أنتم الناس أيها الشعراء ،إشارة غير محددة لسمو الشعراء خيالا ، وقيما، وسموا بالحياة ، إن النص اكتسب جماله من إيحاءاته المتعددة ، دون التقوقع بدلالة واحدة ، **ولنا أن نقرأ لشوقى قصائد أخرى كقوله في النيل :**

مـن أى عهـد في القـرى تتـدفق ؟! وبـأى كـف في المـدائن تغـدق؟!

ومـــن الســـماء نزلـــت أم فجـــرت مـن عليـا الجنـان جـداولا تترقـرق

وبأى نول أنت ناسج بردة للشاطئين جديدها لا يخلق ؟ !..إلخ[2]

إن الـنص ينفـتح بدلالاتـه المتعـددة أمـام القـارىء ، فـلا مباشـرة زاعقـة ، ولا تقريريـة مزعجـة ، ولكـن نـص يكتنفـه الغمـوض الفنـى ،الـذى يلمـح ولا يصـرح ،

1 - راجع القصيدة : الشوقيات ج1 ص 61.
2 - الشوقيات ج2 ص231.

ويوحى ولا يقرر،إن أسئلة الشاعر ليس لها من الإجابات المحددة ،ولكن ليثير انتباه المتلقى بعظمة النيل وعراقته ،وما يقدم من خيرات للبلاد ، وما للذاذة طعمه في شربه ،إنه نهر من الجنة التى وصفت بأن فيها ما لم يخطر على قلب بشر ، ناهيك عن طميه الذى ينسج رداء جميلا للأراضى المحيطة بشاطئه ،إنه يعطيها الخصب والثراء ، والخصب هو مبعث الحياة ،هذه قراءة موجزة للنص ، وليست القراءة الوحيدة ، بل كلما أبحر فيه القارىء المتذوق أرج من لآليه الكثير والكثير...وهذه سمات النص المفتوح الذى عيد تشكيل الواقع ، لا نسخه ، ونقله بحذافيره ...إلخ.

لقد أدرك شوقى بحاسته الفنية أن الشعر ليس نظما ولاتسجيلا للواقع ، بل إبداع وتجلى ،ومعايشة للتجربة ، وإعادة تشكيل لمجريات الواقع ، **ففال** :

الشعر دمع ووجدان وعاطفة يا ليت شعرى هل قلت الذى أجد؟

ونجد في كثير من أشعاره تجارب وجدانية ، ونصوصا مفتوحة الدلالة ، وتلاحم عناصر التجربة الفنية (لغة ، وتركيبا ، ودلالة ، وإيقاعا) في النص ، ومن هذه القصائد وصفه لغاب بولون ورحلة وأندلسياته وقصيدة النيل ...إلخ.، **ومن النماذج الشعرية التى تجسد هذا الملمح في شعره قوله في قصيدة الربيع ووداى النيل:**

ملك النبات فكل أرض داره تلقاه بالأعراس والأفراح
منشورة أعلامه من أحمر قان ، وأبيض في الربى لماح
لبست لمقدمه الخمائل وشيها ومرحن في كنف له وجناح
الورد في سرر الغصون مفتح متقابل يثنى على الفتاح
ضاحى المواكب في الرياض مميز دون الزهور بشوكة وسلاح
مرّ النسم بصفحتيه مقبلا مرّ الشفاه على خدود ملاح

والياسمين لطيفة ونقية كسريرة المتنزه المسماح
متألق خلل الغصون كأنه في بلجة الأفنان ضوء صباح
والجنار دم على أوراقه قانى الحروف كخاتم السفاح
وكأن محزون البنفسج ثاكل يلقى القضاء بخشية وصلاح
وعلى الخواطر رقة وكآبة كخواطر الشعراء في الأتراح
والنخل ممشوق العذوق معصب متزن بمناطق ووشاح
وترى الفضاء كحئك من مرمر نضدت عليه بدائع الألواح
الغيم فيه كالنعام : بدينة بركت ،وأخرى حلقت بجناح

والشمس أبهى من عروس برقعت يوم الزفاف بعسجد وضاح [1]

الخيال المنفتح ،لا الذى يدور في إطار الصور القديمة المستهلكة والمعروفة مسبقا ،تتعانق فيه المحسوسات والمعقولات ، ويتجاور في النص الواقع بالوهم ، والصور حية ومتحركة ، وليست جامدة ، والمشاهد متتابعة ، وكل صورة في ذاتها ذات خلابة فاتنة ،أننا نشعر بمهرجان الطبيعة ، حيث تلقى الأرض الربيع بالأعراس والأفراح ،ومن خلال المعجم اللغوى ينسج لنا مشهدا جميلا ، فالخمائل تتحلى بوشيها ،والورود تتفتح ، والنسيم يقبل دود الورد ، والياسمين يظهرك (نية)الإنسان طاهر النفس والبنفسج حزين كثاكل يلقى القضاء ، والنيل ممشوق كبنات فرعون، والفضاء في انسيابه وجماله الربانى كالمرمر ، والغيوم الجميلة تزين السماء ، وتظهر الشمس كعروس زينوها ليوم عرسها ....منظر جميل وخلاق ،وسحر يبعث الجمال في النفوس ، إنها لوحة فنية تتلاقى عنده صور الخيال في ربقة متناغمة ، ناهيك عن همس الأصوات العذب الذى يشكل نوعية الموسيقى الهامسة

1 - الشوقيات ج1 ص 165.

التى تتماشى مع إيقاع النص ،لنجد ألوانا (الأحمر والأبيض والقانى) ونجد تموج الأصوات الموسيقية مع الحركة في القصيدة ،والصوت في المناداة ،ناهيك عن الموسيقى الخارجية ، فالقصيدة من البحر الرجز (مستفعلن مستفعلن مستفعلن مكرر) مع تكرار حرف الروى (الحاء) والقافية (فراح- ماح- جناح – فتاح ...إلخ) التى تحمل الدلالة الجديدة ، وتتآزر مع بنيات النص في خلق الإيقاع الموسيقى" هذه الكلمات تنسج بينها علاقات صوتية وثيقة ، وتبقى على امتداد القصيدة في تماثل ملحوظ...إن عددا قليلا من الحروف يتعاقب ويتبادل المواقع بينهما ، ويتحلق في تأليفات متقاربة ، تفضى كلها إلى نفس النقطة ، حاملة بين طياتها دلالة جديدة " [1]

1 - د. عبد الله كنوان : من جماليات إيقاع الشعر العربى ط 1 دار أبى رقراق للطباعة والنشر الرباط عام 2002 ص143، نقلا عن جمال الدين ابن الشيخ : الشعرية العربية ص241 .

obeikan.com